المحاضرة الثالثة

الثورة العربية الكبرى 1916 :

أولا : تعريف الثورة العربية :

مجموع العمليات التي قام بها الشريف حسين بن علي ، شريف مكة ضد الاتحاديين الطورانيين الذين كانوا يهيمنون على دواليب الحكم في الدولة العثمانية ، و قد استخدم الثورة لتوحيد كلمة عرب شبه الجزيرة ضد ظلم الأتراك – الاتحاديين – ووجه جهوده للعناية بالوحدة العربية و حفظ استقلال العرب .

و تعرف أيضا على أنها الثورة التي قام بها العرب بقيادة الشريف حسين و بدعم من بريطانيا ضد الدولة العثمانية في جوان 1916 م ، و كانت تهدف إلى إقامة دولة عربية موحدة مستقلة ، حيث أن هذه الثورة لم تكن ثورة حجازية بل عربية استهدفت تحرير الأقطار العربية و استقلالها ووحدتها .

ثانيا : أسبابها :

في 29 جوان 1916 م ، أصدر الشريف حسين بيانا يدعو فيه المسلمين إلى الثورة على الدولة العثمانية و قد بدأه بقوله : (هذا منشورنا العام إلى إخواننا المسلمين ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين) .

إلا أننا نعتقد أن ثورته لم تكن ضد الدولة العثمانية كدولة و لا ضد شخص السلطان بقدر ما كانت ضد الاتحاديين الذين يهيمنون على مفاصل الدولة و كان له عليهم مآخذ كثيرة من بينهما:

أ. سلبهم سلطة السلطان و حقوقه في اختيار المرشحين لشغل المناصب العليا في الدولة .

ب. تلاعبهم بأموال الدولة و أخذها بالقروض .

ج. زجهم بالدولة في حروب أوربية عقيمة خرجت منها خاسرة ، و اتخاذهم من هذه الحروب مطية لاستنزاف ثروة الأمة ، و ذريعة للتنكيل بجميع المخالفين لهم .

د. إضاعتهم لأغلب ولايات الدولة لاسيما في أوروبا الشرقية كالبوسنة و الهرسك و ألبانيا و مقدونيا ، و في شمال إفريقيا كطرابلس الغرب .

هـ. إثارتهم الأحقاد بين مختلف العناصر العرقية المكونة للدولة العثمانية لانتهاجهم سياسة تتريك شعوبها لاسيما في المشرق العربي ، مما أوجد هوة سحيقة بين العرب و الأتراك .

و. اضطهادهم للعرب و محاولتهم و أد اللغة العربية في جميع الولايات العربية بإلغاء استخدامها في المدارس و الدواوين و المحاكم ، و يعتبر ذلك من أكبر المفاسد التي ارتكبوها في حق الدولة و العرب .

ز. انحرافهم عن الدين و تشجيعهم للفئات التي تهاجم الإسلام .

ح. مصادرتهم للممتلكات و أموال أغلب العائلات العربية و طردهم إلى بلاد الأناضول لاسيما المغضوب على أفرادها لأسباب سياسية .

ط. انتهاكهم حرمة الكعبة الشريفة و استهانتهم بالسلطان ، و أن السكوت على تصرفات هذه الفئة الباغية ليس من مصلحة الدين و الدولة .

و يعتقد جورج أنطونيوس _ صاحب كتاب يقظة العرب _ أن ثورة الشريف حسين هي ثورة إسلامية و قومية لأن الشريف حسين جعل منها واجب ديني و قومي حينما هاجم الأعمال المنافية للإسلام التي قام بها الاتحاديين كالطغيان ، و الإعدامات التي قام بها جمال باشا و أنور باشا و طلعت باشا ، و حملهم المسؤولية المباشرة على أعمال الإرهاب في بلاد الشام .

ثالثا : أهدافها :

يمكن تلخيص أهداف الثورة في الآتي :

أ. تكوين دولة عربية مستقلة باعتبار العنصر العربي من أقدم الأمم و أرقاها و ذو مجد عظيم .

ب. إنقاذ الحجاز مهد الإسلام مما حل به بلاء و شقاء على يد العثمانيين ، و تخليصه من الحكم التركي البعيد عن الدين .

ج. الانسلاخ عن الدولة العثمانية .

د. تخليص العرب و البلاد العربية رمة من نير الظلم التركي الذي أثقل كاهلهم .

يظهر أن للشريف حسين أهداف خاصة نلمسها في عرض علاقته ببريطانيا عن طريق مراسلته مع السير مكماهون .

رابعا : التحضير للثورة :

بعد التحالف البريطاني الحسيني من أجل إنهاء الحكم العثماني في المنطقة العربية و تأسيس دولة عربية مستقلة و موحدة ،كلف الشريف حسين ابنه الأمير فيصل بالاتصال بزعماء الحركات و الجمعيات العربية المعارضة ، فأرسله في مهمة الى إسطنبول في 15 مارس 1915 م ، لإفساح المجال أمامه للمرور بدمشق و الاتصال بهذه الزعامات و القيادات ، فسافر فيصل إلى الشام و التقى بزعامة الجمعيات العربية و اتفق معهم على تفويض الشريف حسين ليكون الناطق الرسمي لهم في أي مفاوضات مستقبلية مع بريطانيا ، شريطة أن يتبنى برنامجهم السياسي الذي يضم المقترحات التالية :

أ. اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الممتدة من حدود تركيا شمالا والمحيط الهندي جنوبا باستثناء عدن وحدود إيران شرقا إلى البحر المتوسط و البحر الأحمر غربا.

ب. إلغاء جميع الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدولة العثمانية.

ج. عقد معاهدة دفاعية بين الدولة العربية المستقلة وبريطانيا.

د. استحواذ بريطانيا على كل المشاريع الاقتصادية في البلاد العربية.

هـ. وقف هذا التعاون مع بريطانيا في حالة ما اتضح أن هناك أطماع أوروبية في المنطقة العربية، أو في حالة تعاون بريطانيا مع تركيا.

بعد أن قام الشريف حسين بجميع الترتيبات اتصل بالإنجليز وأبلغهم موافقته على القيام بالثورة ضد الدولة العثمانية إذا تلقى المساعدة الفاعلة، فسارعت بريطانيا إلى طمأنته بأنها تضمن له البقاء في الشرافة على مكة، وستحميه من كل عدوان وستقدم له المساعدات التي يحتاجها.

خامسا: إعلان الثورة :

بعد أن تغلب الشريف حسين على آخر ما تبقى لديه من تردد، دعا العرب إلى إشعال لهيب الثورة ضد الأتراك العثمانيين، وفعلا شبت هذه الثورة في 05 جوان 1916 م، وقاد أولاده الأربعة علي وعبد الله وفيصل وزيد، مفارز القبائل الثائرة واستولوا على جدة وكذلك على مينائي ينبع وأم لج، واضطر الأتراك العثمانيين الذين كانوا في مكة إلى اللجوء إلى القلعة، حيث استسلموا بعد شهر واحد، كما استسلمت حامية الطائف التركية في المدينة في سبتمبر 1916م، وقبيل هذا الوقت حوصر قسم من القوات التركية في المدينة، بينما كان القسم الآخر يحمي سكة الحجاز، فأصبحت القوات التركية المرابطة في عسير واليمن في عزلة تامة .

لم تمضي ثلاثة أشهر حين تمكنت قوات الشريف حسين من الاستيلاء على مدن الحجاز، عدا المدينة المنورة حيث بقيت الحامية العثمانية محاصرة فيها إلى ما بعد انتهاء الحرب ، وقد انضم إلى قوات الثورة في الحجاز الضباط العرب الذين فروا من الجيش العثماني، فنظموا قوات على أسس الجيوش النظامية، ووصلتهم بعض المعدات من الحلفاء بعد أن أدركوا أهمية الثورة لهم، فقد قيدت هجوم الجيوش العثمانية الألمانية إلى جنوب الجزيرة، وبذلك أصبحت المنطقة الممتدة من البحر الأحمر إلى الخليج العربي، بعد انضمام ابن سعود إلى الحلفاء، منطقة موالية للحلفاء، وظلت قوات الشريف حسين تحقق انتصارات حتى وصلت إلى العقبة في جويلية 1917م، واتخذت منها نقطة ارتكاز لتحركاتها،

وتمكنت من الوصول إلى دمشق في أكتوبر 1918م، ودخلت معها الجيوش البريطانية، ثم استمرت قوات الشريف حسين في زحفها فدخلت حمص، وحماه وحلب، ولم يمض شهر حتى تم الاستيلاء على سوريا بكاملها، وشكل الأمير فيصل حكومة عربية في دمشق وطفقت الأعلام العربية ترفرف على جميع المدن السورية .

سادسا : نتائج الثورة العربية :

إن المتتبع لأحداث الثورة العربية الكبرى سيلاحظ أن كل ما ترتب عنها كان في صالح الدول الاستعمارية الكبرى وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا، وكمثال على ذلك :

أ. اتفاقية سايكس بيكو التي تم من خلالها تعيين مناطق نفوذ الدولتين في المنطقة العربية .

ب. قيام بريطانيا بتنصيب الأمير فيصل ملكا على العراق و عبد الله حاكما على شرق الأردن هادفه بذلك الى استعمار فلسطين و العراق بطريقة غير مباشرة و دون تكلفة كبيرة

ج. سلب سكة حديد الحجاز التي أنشأها السلطان عبد الحميد الثاني من العرب، وبالضبط من الشريف حسين، وذلك بعد أن وضعها هذا الأخير تحت تصرف الحلفاء أثناء فترة الحرب.

د. استبعاد الأمة العربية من طرف بريطانيا وفرنسا وجعل جميع بالدها تحت سلطتها.

هـ. إضعاف الأمة العربية وقطع أوصالها.

و. تضرر العرب بعد مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى وهي حرب لا تعنيهم في شيء، وقد دافعوا بغير سبب ودون مقابل عن مصالح بريطانيا وفرنسا.

ز. جعل فلسطين وطن قومي لليهود استنادا إلى أسباب باطلة.

ح. رسم حدود سياسية لفلسطين وتمييزها عن محيطها العربي وذلك لأول مرة في تاريخها، ثم جعلها وطنا لليهود.

ط. تقسيم كل مناطق المشرق العربي بين فرنسا وبريطانيا ما عدى مكة والمدينة باعتبارهما أماكن مقدسة تثير المسلمين في كل بقاع العالم.

ي. .اكتشف العرب بعد انتهاء الثورة أنهم أنهوا الوجود العثماني واستقدموا الاحتلال البريطاني الفرنسي.

سابعا : موقف بلدان المشرق العربي من الثورة العربية :

كان موقف بلدان المشرق العربي من الثورة العربية مختلفا من بلد إلى آخر في بعض جزئياته تبعاً لطبيعة الظروف التي تحيط بكل من هذه البلدان ، ففي العراق مثلاً نجد أن الجزء الذي كان منه ما يزال تحت الحكم العثماني ، وقف موقف المعادي من الثورة لارتباط المسلمين في هذا الجزء بعاطفة الولاء نحو الخلافة ، و لأنهم كانوا ينظرون إلى حكومة الهند الإنجليزية نظرة يشوبها شك، لأن حكومة الهند كانت ذات مطامع في العراق، إذ تعده ميدانا لاستعمال مقبل، أما الجزء الآخر من العراق والذي كان قد وقع فعلا تحت الاحتلال البريطاني كان موقفه من الثورة مختلفا تماماً.

أما في شبه الجزيرة العربية، فقد ر حب سائر الحكام في هذه المنطقة بالثورة عدا ابن الرشيد وإمام اليمن ، وعبر هؤلاء الحكام عن تأييدهم لها في مهرجان عقدوه في العشرين نوفمبر بالكويت، وكان فيمن حضر ذلك الاجتماع ابن سعود وأمير الكويت، وشيخ المحمرة خزعل الكعبي مع ما يزيد على مائة و خمسين شخصاً فيهم عدد من صغار الشيوخ الأقوياء، وألقى ابن سعود في المجتمعين خطاباً بليغا لخص فيه الموقف فأثار حماسة منطقة النظير، وفي ذلك الخطاب حث العرب على أن ينضووا تحت راية كلا من انجلترا والعرب، وسرت أخبار الاجتماع وكلمات ابن سعود في مختلف ربوع الجزيرة سريان النار في الهشيم.

وفي مصر فإن الدوائر التي كانت تميل إلى الدولة العثمانية فقد استقبلت أنباء الثورة بامتعاض، وحاولت أن تهون من أمرها وخطرها ومن إمكانية نجاحها في تحقيق غايتها، أما الأطراف العميلة والموالية للبريطانيين فقد هللت وصفقت لهذه الثورة، ودعت لها بالنصر، حالها في ذلك حال الجالية العراقية والجالية السورية في مصر، اللتان تلقتا أنباء الثورة بحماسة وأفسحتا لها صدر الصحافة لما لهما يومئذ من نفوذ في صحف القاهرة، لاسيما السوريون .

هكذا كان موقف بلدان المشرق العربي من الثورة العربية ، رغم نشاط الشريف عبد الله في الدعاية اللازمة لهذه الثورة، محاولا إبراز أن البريطانيين والعرب حلفاء وأن مصلحة الأمتين واحدة، وأن هدف

الأمير بوغدادة ، مطبوعة بيداغوجية في مقياس المشرق العربي و الدولة العثمانية 1840/1918

العرب من تحالفهم مع الإنجليز هو إنشاء دولة عربية موحدة ومستقلة تشمل فلسطين، كما وجه الشريف حسين منشورًا إلى كافة العرب، وإلى العرب العاملين في الجيش العثماني خاصة، طالب فيه الضباط والجنود العرب بالفرار من الجيش العثماني والالتحاق بالجيش البريطاني، وقد وقع الشريف حسين هذا المنشور على أنه شريف مكة المكرمة وأميرها وملك البلاد العربية.